

تحقيق،

الأرثوذكس: تكريس الثنائية



مكاري يحلم بورئاسة المزم (أرشيف)

دخل الصراع الأرثوذكسي - الأرثوذكسي مرحلة متقدمة. فبعد إعلان إنشاء لقاء النواب الأرثوذكس، يُنتظر أن يعلن الأسبوع المقبل تأسيس لقاء أرثوذكسي واسع. هذان اللقاءان يتلاقيان في الشكل، لكنهما يعكسان في المضمون إرثاً من التناقضات الأرثوذكسية أنتجت أخيراً ثنائية أرثوذكسية واضحة

غسان سعود

منذ إعلان لبنان الكبير، تعيش الأرثوذكسية في لبنان انقساماً مستمراً. فمنها من اعتقد أنه لا يحتاج إلى تأسيس طائفة بالمعنى التقليدي للكلمة وشغل، من أنطون سعادة إلى نجاح واكيم، بالبحث في وسائل صناعة الغد للمنطقة كلها متلاقين في التفكير مع أرثوذكس الجوار، من ميشال عفلق إلى جورج حبش. ومنها من وجد في الولاء للمارونية السياسية حدودها الجغرافية المعروفة وسيلة لإنتاج الزعامة من أول زعيم أرثوذكسي في لبنان الاستقلال، حبيب أبو شهلا، مروراً بشارل مالك وفؤاد بطرس وغسان تويني، وصولاً إلى ميشال المر الذي عرف كيف يوفق بين تسلق الزعامة على سلمين: المارونية السياسية والتبعية السورية. علماً بأن بعض الأرثوذكسين استبدلوا بعد الطوائف المارونية السياسية بالسنية السياسية. وتكفي الملاحظة في هذا السياق أن خمسة من النواب الأرثوذكس الأربعة عشر ينتمون إلى كتلة تيار المستقبل (نضال طعمة، رياض رحال، فريد مكاري، نقولا غصن وعاطف مجدلاوي) وأربعة من التسعة الباقين مقربون من المستقبل (أنطوان سعد، روبري فاضل، نائلة تويني وميشال المر). فيما يتوزع الخمسة الآخرون على القوات اللبنانية (فريد حبيب وجوزف معلوف)، الكتائب (فادي الهبر)، الحزب السوري القومي الاجتماعي (أسعد حردان) وكتلة التغيير والإصلاح (غسان مخيبر).

العودة إلى الطائفة

هذه الثنائية الأرثوذكسية تعرضت أخيراً لتطور مفصلي عند بعض السياسيين الأرثوذكس الذين رفضوا منذ ولادتهم السياسية الانتساب سياسياً إلى طائفتهم، مفضلين الالتزام بالخيارات العروبية وتحمل تبعات هذا الخيار، ككنايب رئيس مجلس النواب السابق إليي الفرزلي مثلاً. فقد فوجئ هؤلاء في

الانتخابات النيابية الأخيرة بأن أهل الخيار العروبي، أبناء الطائفة السنية عموماً، التزموا بتوجهات زعيم طائفتهم فانكروهم وأسقطوهم في الانتخابات لمجرد اقتناعهم بمعاداة إسرائيل والانفتاح على سوريا. واكتشفوا أن قادة «الإسلام السياسي» إنما كانوا يهدفون في مطالبتهم بالتغيير إلى استبدال نظام المارونية السياسي بنظام آخر. وبموازاة هذا الاكتشاف الحديث، وجد هؤلاء أن طائفتهم المفترضة قد استنزفت نتيجة عدم توقف الأرثوذكس عموماً عند الحسابات الطائفية، وعدم تحويلهم كل مس بالحقوق الدستورية للطائفة إلى قضية كبرى، فكان أن استبعدت الطائفة الرابعة في لبنان عن معظم المواقع الأساسية في الدولة وتحولت مراكزها الوزارية والنيابية والإدارية والعسكرية إلى جوائز ترضية مرة تعطي لبطريك ومرة لمطران وثالثة لزعيم ماروني ومرات لزعيم سني. بموازاة ذلك، بدأ واضحاً أن علمانيي الطائفة وعدداً كبيراً من فعاليتها الأكاديمية والفنية والشبابية، وخصوصاً في الشمال، بدأوا يسرون على طريق الوزير طارق متري،

متجاوزين «استقامة الرأي» للالتحاق بعصبيّة تيار المستقبل لتحقيق تطلعاتهم الفردية، وهو ما يفقد المشروع العلماني في البلد ومشروع الانفتاح اللبناني على الشرق قوة أساسية. من هنا، بدأ فريق صغير، يتشارك فيه السياسيون مثل إليي الفرزلي ومروان أبو فاضل والاقتصاديون مثل جاك صراف ونقولا نحاس، العمل، قبل نحو ثلاثة أشهر، لإطلاق لقاء أرثوذكسي أول من نوعه في الشكل والمضمون، لتلقي فيه الفعاليات مع الشارع الأرثوذكسي وبعض الجمعيات الأرثوذكسية والإكليروس لإعادة وضع الطائفة الرابعة في لبنان عدداً على الخريطة. وبعيداً عن الإعلام، أعدت النواة التأسيسية لهذا اللقاء اجتماعات عدة مع مجموعة ناشطين في الشأن العام لوضع تصور عن وضع الأرثوذكسين في الدولة، تمهيداً لإثارة قضاياهم وفق خطة عمل واضحة. والجدير ذكره أن طبّاحي هذا اللقاء سمعوا كلاماً إيجابياً في صالون مطرانية بيروت للروم الأرثوذكس من المطران الياس عودة الذي أكد أمامهم أن الحركة ضرورية، ولا بد من رفع الصوت للمطالبة بحقوق الطائفة، مبدياً مباركته للقاء، ولا سيما أن في صفوفه أصدقاء له. وفي برمانا، حيث مطرانية جبل لبنان للروم الأرثوذكس، لقي مُعدو اللقاء دعماً ومباركة من المطران جورج خضر أيضاً.

بدل اللقاء... أثنان

الوضوح في خلفية المعدين للقاء الأرثوذكسي لناحية أن تصحيح الوضع التمثيلي للطائفة يبدأ من الالتزام بالدستور لناحية ضمان مناصفة حقيقية، وتوفير تمثيل عادل للطوائف لا بقاء الوضع على ما هو عليه لناحية تمثيل الطائفة بنواب لم يحظوا في دوائرهم بتأييد معظم الناخبين الأرثوذكس، أدى إلى إسراع عضو كتلة المستقبل النيابية، نائب رئيس مجلس النواب فريد مكاري، إلى إعلان - منذ نحو أسبوعين - تأسيس «اللقاء النيابي الأرثوذكسي» بمشاركة 10 نواب (من النواب الأرثوذكس في الأكثرية، تغيبت نائلة تويني فقط). وقد اجتمع هذا اللقاء ليطالب بإعادة

المناصب الإدارية والعسكرية التي كان يشغلها أرثوذكسيون إلى الأرثوذكس مثل عضوية المجلس الأعلى للجمارك، أحد نواب حاكم مصرف لبنان، مدير الاستخبارات في الجيش، المدير العام للأمن العام، الأمين العام لوزارة الخارجية ومدير المالية العام. وفي احتفال للرابطة اللبنانية للروم الأرثوذكس في طرابلس، أكد مكاري أنه لن يقبل بعد الآن أن يكون الأرثوذكس في الإدارة صفرًا... على الشمال. ويبدو واضحاً من كلام مكاري قبيل إطلاق اللقاء، وبعد البيان الذي أصدره النواب، أن ثمة مبررين أساسيين لهذا اللقاء: الأول، محاولة قطع الطريق على المطالبين باستعادة حقوق الطائفة، والاستفادة من علاقات هؤلاء النواب الأرثوذكس داخل كتلتهم وضمن الأكثرية النيابية لتحقيق إنجازات على هذا الصعيد يمكن أن تخرج اللقاء الآخر وتخرجه. والثاني، توفير حثية خاصة لبعض الشخصيات الأرثوذكسية التي تشعر بان الأحزاب، وخصوصاً القوات اللبنانية، تاكل من شعبيتهم. ويبدو لافتاً في هذا السياق قول مكاري إن «المحاصصة الطائفية لا تعطي الأرثوذكس إلا الفتات، فيما المحاصصة الحزبية تتكفل بمصادرة الباقي»، داعياً إلى احترام «الخصوصية الأرثوذكسية المتمثلة بالعمل السياسي من خارج الأطر الحزبية، عند طرح ملف التعيينات»، وهو ما يُظهر بوضوح الصراع بين الشخصيات الأرثوذكسية في قوى 14 آذار والأحزاب التي تحاول تعويض حصول العماد ميشال عون على الجزء الأكبر من الكراسي المارونية، سواء الوزارية أو الإدارية أو العسكرية بالحصول على كراس أرثوذكسية. ويفترض أن يسبب الهدف الثاني، عاجلاً أو آجلاً تشقّقاً في اللقاء النيابي الأرثوذكسي، وخصوصاً أن نصف أعضائهم ينتمون إلى أحزاب 14 آذار.

طباخو اللقاء سمعوا كلاماً إيجابياً في صالون مطرانية بيروت للروم الأرثوذكس ومباركة من المطران جورج خضر

يزايد «علمانيو الطائفة» بارثوذكسياتهم ليحموا «الخيار العروبي» ويرفع «حريرو الطائفة» سقف مطالبهم ليثبتوا ولاءهم للطائفة

المفاجأة النيابية لم تسرع أو تؤخر في ولادة اللقاء الأول الذي يفترض أن يبصر النور خلال أسبوعين في احتفال يشارك فيه حشد من الشخصيات الأرثوذكسية. وينطلق أحد مؤسسي هذا اللقاء من رفضه تحول حقوق الطائفة إلى جوائز ترضية للطوائف الأخرى، ولو كانت مسيحية، ليشير إلى صعوبة أن يطالب بحقوق الأرثوذكس من هم مسئولون في ظل زعامات غير أرثوذكسية، منتهياً إلى التأكيد أن نجاح أية حركة مرتبطة بقدرتها على توفير تعاون مباشر بين العلمانيين بمختلف مواقعهم ورجال الدين، وهذا تحدياً ما يسعى اللقاء الأول إلى إنجازه. وفي رأي المصدر، فإن المطرانية مهتمون بوضع حد لاختيار زعماء الطوائف الأخرى ممثلي الأرثوذكس سياسياً واقتصادياً واجتماعياً، ومعظمهم - وعودة ضمناً - أبدوا استعداداً لدعم كل من يرفع الصوت الصادق جدياً، بغض النظر عن هويته السياسية، مؤكداً أن ما بدأ العمل عليه منذ بضعة أشهر يفترض أن يبقى خارج أي اصطفاقات. ومباركة المطران عودة له لا تعني أبداً أنه يغير اقتناعاته السياسية، مشيراً إلى أن الاجتماع النيابي الأخير هو ثمرة الإعداد لهذا اللقاء، والامتحانات المقبلة ستثبت فعاليتها أو عدمها. علماً بأن عودة الذي تصالح أخيراً مع النائبة نائلة تويني بعدما زارته في دار المطرانية، بشجع بحسب أحد عارفه، كل من يزوره طالباً الدعم أو البركة على المبادرة، ومن النادر جداً أن يصد أحداً أو يحبط عزيمته.

بين اللقاءين، لا شيء أكيداً، إلا أن الطائفة الأرثوذكسية العاجزة عن إيجاد زعيم يلتم الناس حوله كحال رعايا الطوائف الأخرى ذاهبة إلى مرحلة جديدة من السجال الأرثوذكسي - الأرثوذكسي، يزاييد خلاله «علمانيو الطائفة» بارثوذكسياتهم ليحموا «الخيار العروبي»، فيما يرفع «حريرو الطائفة» سقف مطالبهم ليثبتوا ولاءهم للطائفة. وفي النتيجة، ينضم الأرثوذكس رسمياً إلى نادي الثنائيات في الطوائف.

